ظلت أروقة المسجد النبوي وعبر السنين والقرون تغصُّ بحِلق العلم من أهل المدينة وزائريها ومجاوريها ومن الحجيج والمعتمرين، فكانت هذه الحِلق منتدى للعلم، ومن حول المسجد النبوي أقيمت الأربطة ومساكن الطلبة وأنشئت المدارس، وأسِّست المكتبات واجتمع على أرففها كتب خطية آتية من بلاد شتى، وفي فنون وعلوم مختلفة، ومن بين تلك الخزائن التي كانت في المسجد النبوي (خزانة الروضة الشريفة)، فقد كانت هذه الخزانة قائمة بذاتها، وتُوقف عليها المصاحف والكتب.

ورقة بمحتويات خزانة الروضة النبوية (بالمدينة النبوية)

عادل عبد الرحيم محمد رفيع العوضي
باحث في التراث

جاء في كتاب «مكتبات المساجد دراسة تاريخية»: «فيما يتعلق بمجموعات الكتب ووجود المكتبات، فقد وجِد بالحرم النبوي العديد من مجموعات الكتب التي كانت تخدم العملية التعلمية والتثقيفية لجموع المسلمين، ومن الثابت أن مجموعات الكتب وجدت طريقها إلى الحرم النبوي منذ أن بدأ المسلمون يتخذونه مكانًا للتدريس والتعليم، ويبدو أن من أهم مجموعاته أو خزائن كتبه تلك المكتبة التي خصص لها مكانًا وسطًا ما بين المنبر وقبر الرسول ﷺ، ويقال إنها كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب والمصاحف)[1].

وخزانة الروضة ذكرها عددٌ من العلماء والمؤرخين والرَّحالة في مؤلفاتهم، أورد منها:

(١) تأليف: د. مكي السباعي، ترجمة د. هاشم فرحات - د. محمد غندور، مركز الملك فيصل بالرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٩٥.

قال ابن زبالة (ت ١٩٩هـ): «حدثني مالك بن أنس قال: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحفٍ منها كبير، وهو أول مَن أرسل بالمصاحف إلى القرى، وكان هذا المصحف في صندوق عن يمين الأسطوانة التي عملت علما لمقام النبي ﷺ[1]، وكان يُفتَح في يوم الجمعة والخميس، ويُقرأ فيه إذا صليت الصبح، فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان فجُعلت في صندوقٍ ونُحي منها مصحف الحجاج، فوضِعت عن يسار السارية، ووضعت منابر لها كانت تقرأ عليها، وحُمِل مصحف الحجاج في صندوقه فجُعِل عند الأسطونة التي عن يمين المنبر»[2].

قال ابن جبير (ت ٦١٤هـ)- رحمه الله- في رحلته عام (٥٨٠هـ): «ويصلي الإمام في الروضة الصغيرة المذكورة إلى جانب الصندوق، وبينها وبين الروضة والقبر المقدس محملٌ كبيرٌ مدهون عليه مصحف كبير في غشاء مقفل عليه، هو أحد

المصاحف الأربعة التي وجَّه بها عثمان بن عفان- رضي الله عنه- إلى البلاد، وبإزاء المقصورة الى جهة الشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتبٍ ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك»[3].

(١) الأسطوانة المخلقة، والاسم هذا يُطلَق على عدة أسطوانات ضمن الروضة. انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله السمهودي، تحقيق: د. قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٢ ص٨٥-٨٨.

(٢) أخبار المدينة، محمد بن الحسن ابن زبالة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٢٤.

(٣) رحلة ابن جبير، ط دار ومكتبة الهلال، ص١٥٣.

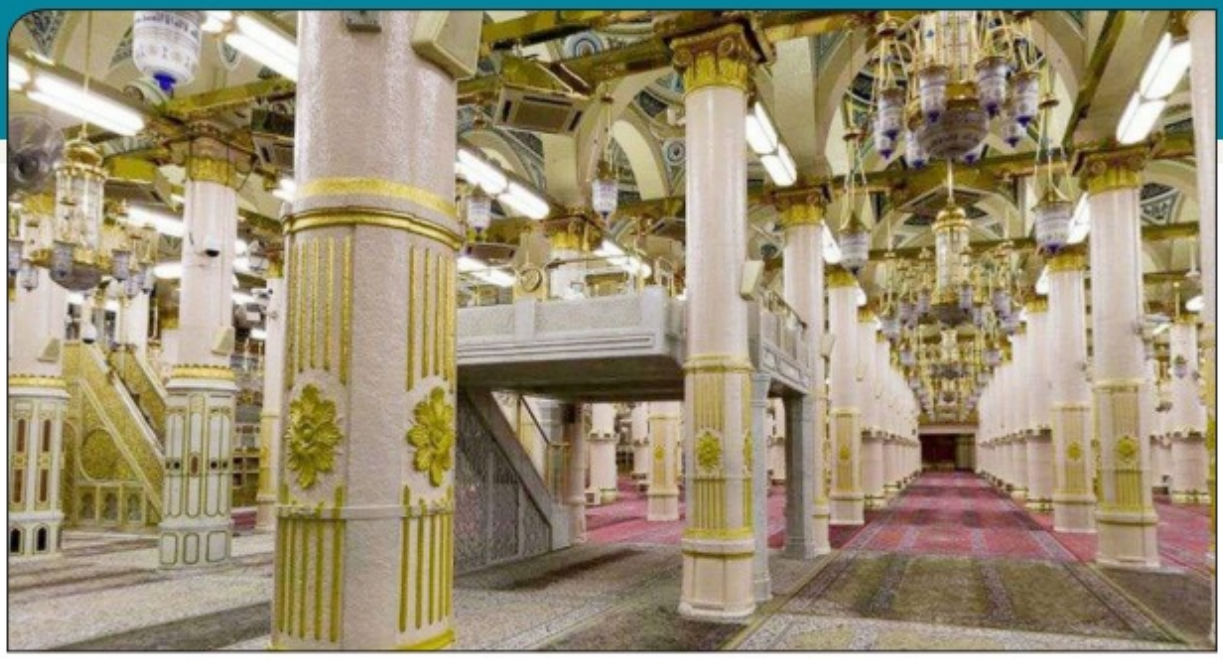

ورصد أيوب صبري (ت١٣٠٨هـ) في موسوعته (مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب)[١] أن عدد المصاحف في الروضة الشريفة كان (١٨٠١) مصحف.

وذكر إبراهيم باشا رفعت (ت ١٣٥٤هـ) في كتابه (مرآة الحرمين)[٢] أنه في عام (١٣١٨هـ) عدد المصاحف بالروضة التي بين منبر الرسول وقبره (١٠٨١) مصحفًا[٣].

والخزانة جاء ذكرها ضمن فهرس انتخابي لمجموعة مكتبات في المدينة المنورة صوِّر ضمن بعثة معهد المخطوطات العربية للمملكة العربية السعودية من مكتبة الوجيه محمد نصيف- رحمه الله- بجدة بعنوان (فهرس مكتبة الروضة الشريفة والمحمودية والسادة بالمدينة وغيرها، وهو فهرس انتخابي وليس تامًّا)[٤]، وهي محفوظة ضمن المصورات الفيلمية بمعهد المخطوطات العربية برقم (فهارس ومكتبات-٧٤)، مكتوبة بخط النسخ.

وجاء في هذه الورقة المنتخَبة ذكرٌ لبعض المصاحف ووصفها، وبعض الآثار، والمطبوعات، وذكر في الأول عدد المجلدات بأنها (١٠٨١) سابقًا، و لم يتبين في الفهرس الانتخابي مَن الذي وضعه.

مآل مصاحف خزانة الروضة وكتبها

آلت مصاحف خزانة الروضة وكتبها إلى عددٍ من المكتبات، منها: مكتبة المسجد النبوي، ومجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية، ومتحف طوبقابي سراي.

فمن المصاحف التي آلت إلى مكتبة المسجد النبوي مصحف برقم (٢٣)، ويحمل ختمًا للروضة.

ولم أتمكن من الاطلاع على بقية المصاحف؛ لأني لم أجد فهرسًا لها.

وفيما يتعلق بالكتب المخطوطة التي كانت بخزانة الروضة،

(١) أشرف على ترجمته: محمد حرب، دار الآفاق العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٤ ص٦٤٩، كما أنه وصف عدد (١٣٢) مصحفًا، وبعضها وصفها بوصف دقيق، و ذكر أجزاء القرآن وهي (٤٢) نسخة، و ذكر ٤ نسخ من دلائل الخيرات، كانت وقفًا على الحجرة النبوية، ج٣ ص٣٧١-٣٩٥.

(٢) مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ج١ ص٤٢٣.

(٣) حول اختلاف أعداد المصاحف، انظر: تاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، ص١٤٧.

(٤) أشكر أخي قايد الحارثي الذي دلني على هذه الورقة، وحاولتُ الحصول على نسخة حديثة من الفهرس من مكتبة الوجيه محمد نصيف التي في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وتبين بأنها غير موجودة ضمن مجموعته.

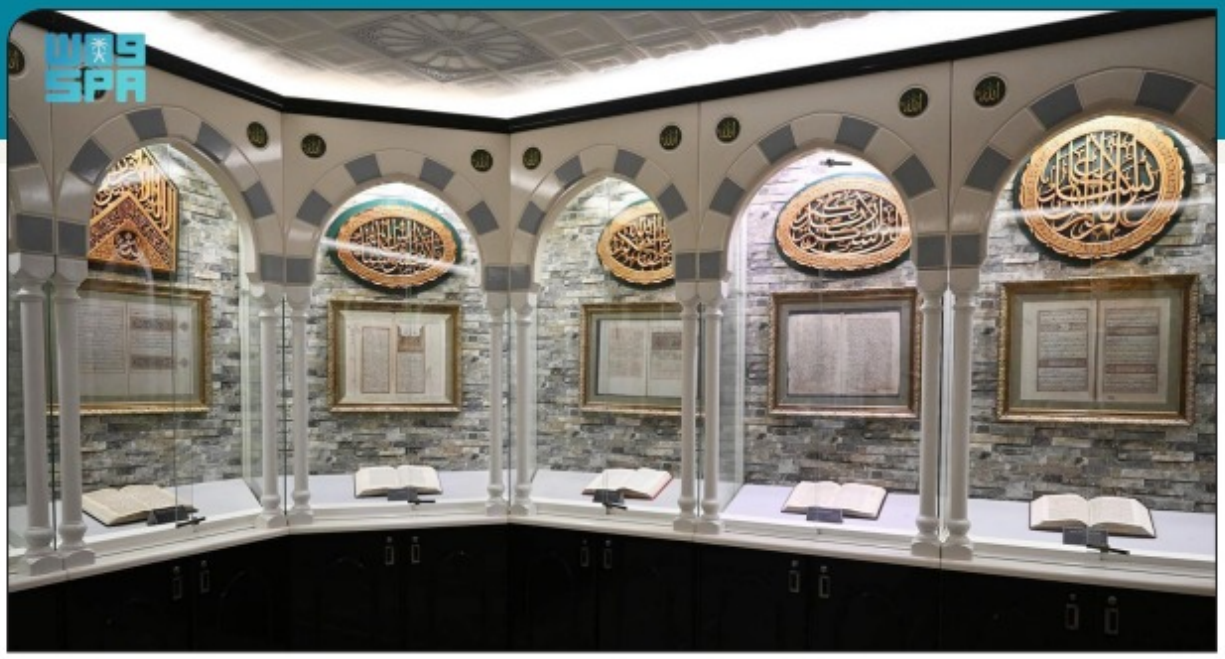

فبعد جرد مصورات مكتبة المسجد النبوي لاستخراج المخطوطات التي عليها ختم خزانة الروضة، وقفت على (٣٧) مجلدًا من خزانة الروضة، أغلبها مختومٌ بختم خزانة الروضة، وواحدٌ عليه قيد الوقف فقط، واثنان منهما عليهما ختم لشخصٍ أوقف الكتابين على الروضة.

وفيما يخص الكتب المطبوعة، والتي عليها ختم خزانة الروضة، فقد ذُكر في كتاب (نوادر المطبوعات في مكتبة المسجد النبوي الشريف)[١] ثلاثة كتب مطبوعة عليها ختم خزانة الروضة، ولم أستطع معرفة بقية الكتب المطبوعة الموقوفة على خزانة الروضة؛ وذلك لعدم وجود فهرسٍ خاصٍ بها.

وأما في متحف طوبقابي سراي بتركيا، فوجدتُ ضمن مجموعة مدينة مصحفان: برقم(M64) و(M93) يحملان ختم خزانة الروضة.

وهذه المجموعة إلى الآن لم أجد لها فهرسة تفصيلية، تُعنى بالوقفيات والأختام التي فيها.

ويشار هنا إلى أن العديد من المصاحف الثمينة موجودة في

(١) نوادر المطبوعات في مكتبة المسجد النبوي الشريف المنشورة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، دارة الملك عبدالعزيز والرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، بأرقام: ٣، ٤، ٣٦.

متحف طوبقابي سراي قد نُقِلت إلى إسطنبول من المدينة النبوية في حادثة (سفر برلك) الشهيرة سنة (١٣٣٤-١٣٣٧هـ)[٢]، مع مقتنياتٍ أخرى ثمينة شملت الأحجار الكريمة من الألماس والزمرد والياقوت...إلخ، والأدوات الذهبية والفضية، والشمعدانات والقناديل والمزهريات، وغيرها من المقتنيات التي استُفيد من معظمها في إنارة الحجرة النبوية الشريفة والروضة، وكانت تلك المقتنيات من إهداء المسلمين من مختلف البلاد الإسلامية إلى الروضة النبوية الشريفة والحرم النبوي[٣].

(٢) حول هذه الحادث وتفاصيلها، انظر (سفر برلك وجلاء أهل المدينة المنورة إبان الحرب العالمية الأولى ١٣٣٤- ١٣٣٧هـ) د. سعيد بن وليد طوله، نادي المدينة المنورة الأدبي.

(٣) تفاصيلها في:

أ- مقتنيات الحجرة النبوية الشريفة بموجب تقرير عثماني عام ١٣٢٦هـ، سهل صابان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع١، محرم- ربيع الأول ١٤٢٢هـ/ مارس- مايو ٢٠٠٢م.

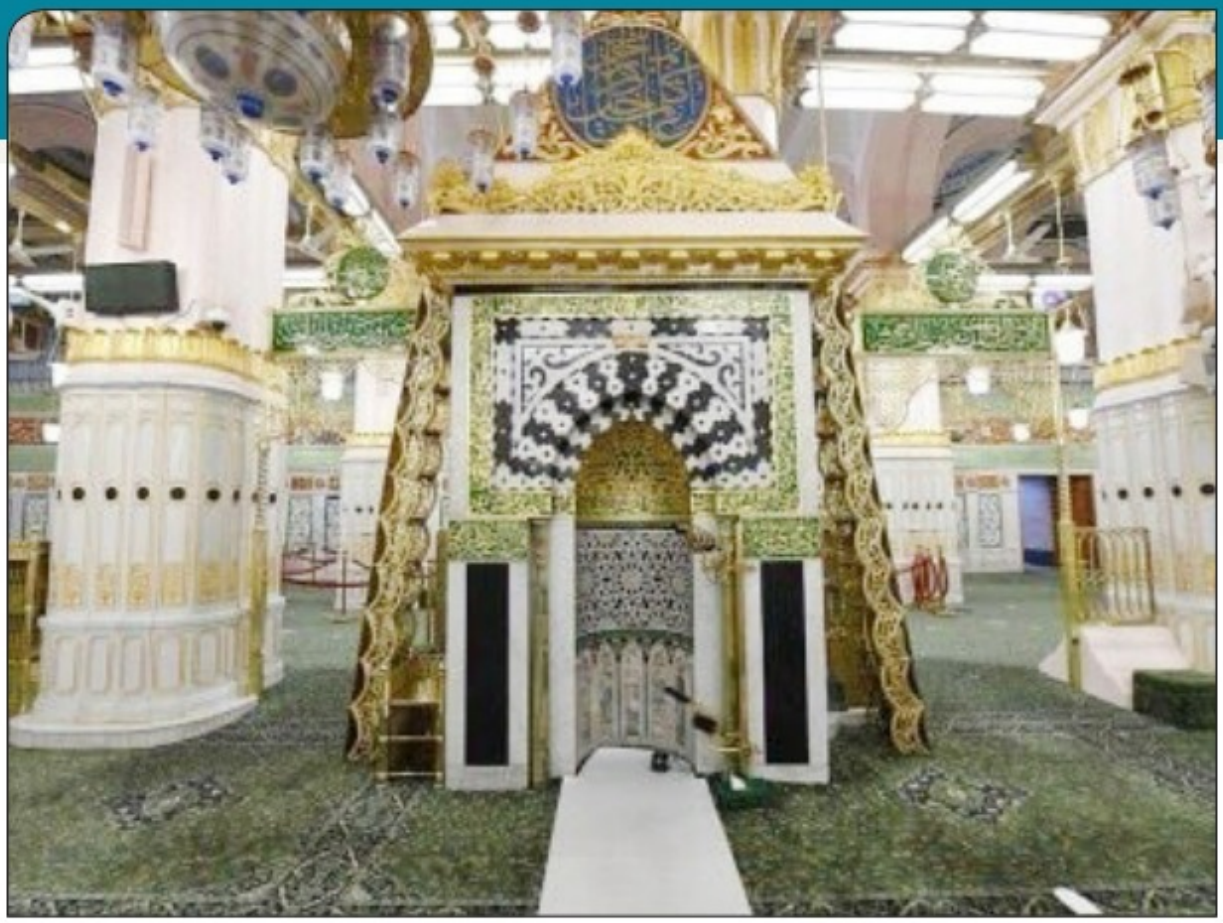

وفيما يتعلق بمجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية، فيضم مجموعة كبيرة من المصاحف الموقوفة على خزانة الروضة موجودة في مكتبة المصُحف في المجمع[1].

ويُشار إلى أن هذا القسم (مكتبة المصحف) الموجود ضمن مجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية أُنشئ عام (١٣٩١هـ- ١٩٧٢م)، وأصله المصاحف الخطية الموقوفة على الحرم النبوي والروضة الشريفة، إضافةً إلى خزائن المصاحف والمقتنيات الأثرية الموجودة سابقًا بالحرم، ومكانها داخل مبنى التوسعة السعودية الأولى، في علو المسجد النبوي الشريف، فوق خوخة أبي بكر الصديق، وضُمت بعد إلى مجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية، وقد خُصص لها جناحٌ خاص[2].

ومن المخطوطات التي آلت إلى المجمع مخطوطة: ترجمة تفسير أبي الليث السمرقندي باللغة التركية، برقم (٢٨٣٣) ضمن مجموعة المكتبة المحمودية بالمجمع، أوقفه شيخ الحرم المدني على الحجرة النبوية، وعليه ختم خزانة الروضة.

ب- الأمانات المنقولة من الحجرة النبوية إلى إستانبول، سهل صابان، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع٢، جمادى الأولى- رجب ١٤٢٣هـ/ يوليو- سبتمبر ٢٠٠٢م.

(١) مجموع ما وقفتُ عليه من مصاحف عليها ختم خزانة الروضة ضمن النماذج المرفوعة على موقع مجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية (٣٤) مصحفًا، وثلاثة مصاحف ذكرها د. عبد الرحمن المزيني في بحثه (المصاحفُ المخطوطة في القرن الحادي عشر الهجري بمكتبة المصحف الشريف في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة)، ومصحف واحد تحدث عنه د. عبد الله المديفر في بحثه (مصحف الملك الأشرف قايتباي في مدرسته التي أنشأها في المدينة النبوية عام ٨٨٧هـ عرض وتوصيف)، منشور على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(٢) مكتبة المسجد النبوي النشأة والأثر، ص٣٠ وما بعده، وتاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، د. محمد الشنقيطي، ص١٤٥- ١٥٤.

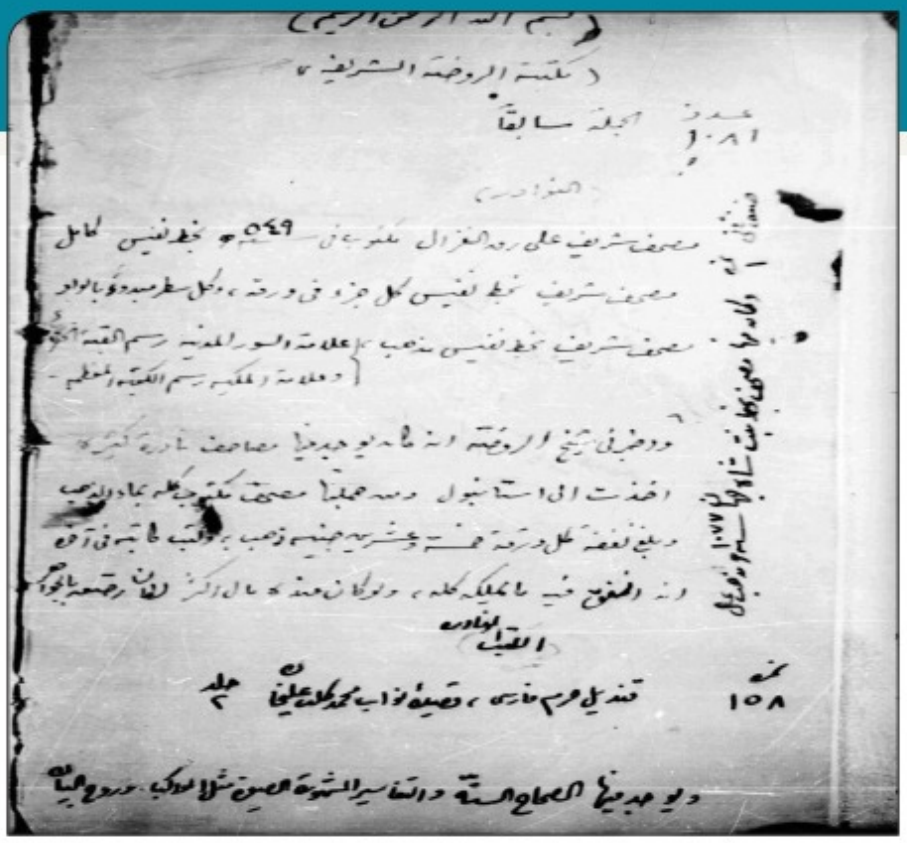

الورقة المنتخبة

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة الروضة الشريفة

عدد ١٠٨١ الجملة سابقًا

النوادر

مصحف شريف على رَق الغزال، مكتوب في سنة ٥٤٩ هـ بخط نفيس كامل.

مصحف شريف بخط نفيس كل جزء في ورقة، وكل سطر مبدوء بالواو.

مصحف شريف بخط نفيس مذهب، علامة السور المدنية رسم القبة الخضراء، وعلامة المكية رسم الكعبة المعظمة.

صنف ثاني نمرة ١، وكان فيها مصحف بخط بنت شاه جهان سنة ١٠٧٧ مذهّب عالٍ[1].

و أخبرني شيخ الروضة أنه كان يوجد فيها مصاحف نادرة كثيرة أُخِذت إلى إستانبول، ومن جملتها مصحف مكتوب كله بماء الذهب، وبلغ نفقة كل ورقة خمسة وعشرين جنيه ذهب، وكتب كاتبه في آخره إنه أنفق فيه ما يملكه كله، ولو كان عنده مالٌ أكثر لكان رصعه بالجواهر.

الكتب النادرة

نمرة ١٥٨ قنديل حرم فارسي، قصيدة نواب محمد كلب علي خان[2] جلد ٢.

ويوجد بها الصحاح الستة، والتفاسير المشهورة الصيت، مثل: تفسير المواكب[3]، وروح البيان[4].

(١) هذا السطر جاء مكتوبًا على الطرف.

(٢) لم أقف على ترجمته، له كتابٌ مطبوعٌ بعنوان (كافية مترجم مع فوائد شاملة) طبع نظامي- كانبور سنة ١٢٩٠ هـ، هذا السطر جاء مكتوبًا على الطرف.

(٣) تفسير المواكب، مؤلفه إسماعيل فروخ أفندي (ت١٢٥٦هـ)، وهو في الأصل ترجمة تفسير «المواهب العلية» للشيخ حسين بن علي الواعظ الكاشفي السبزواري (ت٩١٠هـ) إلى اللغة التركية العثمانية مع شيءٍ من الشرح والتعليق، وهو تفسيرٌ مطبوعٌ عام ١٣٠٧هـ، ومنه نسخة في مكتبة راغب باشا برقم ٢٠٦٨.

(٤) روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت١١٢٧هـ)، وهو مطبوعٌ.